نَبْذَةٌ في أصولِ الدين

لأبي اليمان الحنبلي

دعوة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الوعد الأمين وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين ومن والاهُ إلى يوم الدين أما بعد فهذا نبذة في أصول الدين بيان لكل مسلم عامي أن العلوم أقسام واجب ومندوب ومحظور ونحن نشرح هذه العلوم إن شاء الله وكذلك نذكر أنواع الناطقين بكلمة التوحيد وأنواع الكفر والكافرين والآن الشروع في المقصود

(تعريف الواجب لغةً واصطلاحاً)

اعلم أن الواجب لغةً هو اللازم والمفروض والمُحتَّم من الأمور التي يجب على المرء المسلم القيام بها هذا من حيث اللغة أما اصطلاحاً فالواجب ما يثاب فاعلهُ أمتثالاً لأمر الله ورسوله ويعاقب تاركهُ عمداً

(تعريف المندوب لغةً واصطلاحاً)

اعلم أن المندوب لغةً الدعاء إلى فعل الشيء هذا

من حيث اللغة أما اصطلاحاً هو ما طلب الشارع فعلهُ طلباً غير حتم أو غير لازم بمعنى واجب هذا من حيث دليله أما حكمه، فهو ما يثاب فاعله أمتثالاً لأمر الله ورسوله صلى اللهُ عليه وسلم بعقد النية ولا يعاقب تاركه عمداً كان أو تكاسلاً بخلاف الواجب

(تعريف المحظور لغةً واصطلاحاً)

اعلم أن المحظور لغةً المحرَّم والممنوع

واصطلاحاً ما يثاب تاركهُ أمتثالاً لأمر الله ورسوله صلى اللهُ عليه وسلم بعقد النية ويعاقب فاعلهُ عمداً والعلم المحرم مثل علم الكلام والفلسفة والسحر وعلم النجوم

(تعريف الواجب من العلوم)

أخرج ابن ماجه في سننه بسنده عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) فالعلم الواجب المقصود في الحديث الذي يعاقب تاركه عمداً ويكون من المعرضين عن دين الله بل والكافرين هو أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم

الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى. و لا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعاً عن علم وعلى الوجه الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه و سلم و أما من جحد شيئاً منها فقد خرج عن دائرة الإيـمـان

(معنى الإيمان لغةً واصطلاحاً)

اعلم أولاً أن الحقيقة اللغوية للإيمان ومعناهُ

الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية وهو من الأمن ضد الخوف

قال الراغب: (أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ..

قلت ويأتي بمعنى التصديق قال تعالى

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (يوسف١٧) يريد وما أنت يا أبانا بمصدق لنا ولو كنا صادقين أما اصطلاحاً

فالإيمان عند أهل السنة ينقسم إلى أقسام فمن ناحية الجوارح يكون بقول اللسان وعمل الجوارح واعتقاد القلب فقول لا إله إلا الله باللسان إيمان والعمل بلا إله إلا الله من صلاة وجهاد وحج وصوم وغير ذلك إيمان وحب الله ورسوله

والدين في القلب إيمان ومن وجه آخر أن الإيمان عند أهل السنة يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية خلافاً للمرجئة الذين يقولون أن الإيمان لا ينقص واختلفوا في زيادته على قولين والعمل عند أهل السنة ركن في الإيمان أي جزء منه ليس شرط كمال كما تقول المرجئة وليس شرط صحة كما تقول الخوارج لأن من الإيمان ما هو شرط صحة مثل أركان الإيمان الستة ومنه ما هو شرط كمال مثل جميع المندوبات الغير واجبة

فصل

(معنى الإيمان بالله)

اعلم أن الإيمان بالله له أربعة أقسام عند أهل السنة وهذه الأقسام مستنبطة من الكتاب والسنة فالقسم الأول هو الإيمان بتوحيد الربوبية والربوبية نسبةً للرب وهو الله سبحانه وتعالى ولا يقال لغير الله رب إلا بالإضافة تقول رب الدار ورب المال ورب الطعام والربُّ هو الذي يُربي غيرَه ويُنشئه شيئًافشيئًا ويُطْلَقُ على المالِك والسَّيِّد والمدَّبِّرِ والمُرَبِّي والقيِّم والمُنْعِم والله هو الرب قال سبحانه وتعالى

رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (الصافات ٥) فتوحيد الربوبية هو الإيمان الجازم أن الله واحد في ذاته وأنه هو الملك الخالق الرازق المدبر الحي القيوم الباعث الناشر وأن السلطة التكوينية لهُ وحده لا شريك له وهذا التوحيد توحيد الربوبية اقر به أكثر أهل الأرض من الكفار إلا شرذمة مثل فرعون والمجوس أثبتوا أصلين يزدان وأرهمن فيزدان خالق الخير وهو الله وأرهمن خالق الشر وهو الشيطان ففرعون أنكر توحيد الربوبية ولكن المجوس أثبتوه مع الشركة تعالى الله عن قولهم وكذلك الدهريين من العجم والطباعيين والملاحدة في هذا الزمان أنكروا توحيد الربوبية أما الدهماء من العرب تؤمن بتوحيد الربوبية مع الشركة في توحيد الألوهية واعلم أن من آمن بتوحيد الربوبية واشرك بتوحيد الألوهية لا ينفعه توحيد الربوبية بل من اشرك بأي نوع من أنواع التوحيد الأربعة كفر بالباقي

فصل

(الإيمان بتوحيد الألوهية ومعناهُ)

الألوهية لغةً اسم مشتق من الإله وهو الله ومصدره أَلَهَ والإله لغةً هو المعبود واسم(الله) لفظ الجلالة مشتق من الإله حذفت الهمزة وأدغم اللام باللام

فصارت الله مشددة ومعنى توحيد الألوهية واصطلاحاً فهو إفراد الله بالعبادة الظاهرة والباطنة أعمال القلب والجوارح والكفر بالطاغوت قال تعالى

لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(البقرة ٢٥٦) قوله لا إكراه في الدين قيل لا إكراه في إدخال اليهود والنصارى جبراً في دين الإسلام وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل هي محكمة لا يكره يهودي ولا نصراني ولا وثني في الدخول في الإسلام ولكن اليهود والنصارى عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل والوثنيين عليهم الدخول في الإسلام وإلا القتل وهذا قد لا يستقيم في أذهان بعض الناس قال ابن جرير الطبري في تفسيره على معنى هذه الآية لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار- أو في رجل منهم - كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام.

* ذكر من قال ذلك:

5812 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتا، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا! فأنزل الله تعالى ذكره: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" انتهى المراد من كلامه وقال ابن كثير على معنى هذه الآية وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية . وقال آخرون : بل هي منسوخة بآية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام ، فإن أبى أحد منهم الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية ، قوتل حتى يقتل . وهذا معنى الإكراه قال الله تعالى : (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) [الفتح : ١٦] وقال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

[التحريم : ٩] وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)

[التوبة : ١٢٣] وفي الصحيح : " عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل " يعني : الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال

والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن حميد عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : " أسلم " قال : إني أجدني كارها . قال : " وإن كنت كارها " فإنه ثلاثي صحيح ، ولكن ليس من هذا القبيل ، فإنه لم يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام بل دعاه إليه فأخبر أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة فقال له : " أسلم وإن كنت كارها ؛ فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص " انتهى كلامه وقوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ' العروة الوثقى كلمة الإخلاص لا إله إلا الله والطاغوت مشتق من الطغيان وهو كل شيء تجاوز حده هذا لغةً واصطلاحاً كل من تجاوز حده بالكفر وجميع الأصنام والاشجار المعبودة من دون الله هي طواغيت قال ابن جرير عن معنى الطاغوت / الطاغوت هو كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة ممن عبده له إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء وأصل الطاغوت من قول القائل طغا فلان يطغو إذا عدا قدره فتجاوز حده.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت

والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}

(سورة النحل آية: ٣٦.)

فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو

أن تعتقد بطلان عبادة غير الله،

وتتركها

وتبغضها

وتكفر أهلها

وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله فهو

أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه،

وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله،

وتنفيها عن كل معبود سواه،

وتحب أهل الإخلاص وتواليهم،

وتبغض أهل الشرك وتعاديهم.

وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي

أخبر الله بها في قوله:

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}

(سورة الممتحنة آية: ٤).

والطاغوت عام، فكل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو

متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

(الأول):

الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى:

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}

(سورة يس آية: ٦٠).

(الثاني):

الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً}

(سورة النساء آية: ٦٠).

(الثالث):

الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى:

{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}

(سورة المائدة آية: ٤٤.)

(الرابع):

الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى:

{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً}

(سورة الجن آية: ٢٧٢٦)

وقال تعالى:

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ

وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ}

سورة الأنعام آية:(٥٩)

(الخامس):

الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى:

{وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}

(سورة الأنبياء آية: ٢٩)

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنا بالله إلا

بالكفر بالطاغوت،

والدليل قوله تعالى:

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

سورة البقرة آية: ٢٥٦.

الرشد دين محمد صلى الله عليه وسلم، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقى

شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات،

تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى،

وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.

انتهى كلامه رحمه الله

كلام السلف في معنى الطاغوت

قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الطاغوت الشيطان

وقال مجاهد الطاغوت الشيطان في صورة الإنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم أي ولي أمرهم ورئيسهم

وقال جابر رضي الله عنه الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين عن أبي العالية ، أنه قال : الطاغوت : الساحر عن سعيد بن جبير قال : الطاغوت : الكاهن

قال ابن جرير الطبري : حدثنا الحسين قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج : " فمن يكفر بالطاغوت " قال : كهان تنزل عليها شياطين ، يلقون على ألسنتهم وقلوبهم . أخبرني أبو الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنه سمعه يقول : - وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال - : كان في جهينة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد ، وهي كهان ينزل عليها الشيطان . واعلم أن أكبر الطواغيت في هذه بلداننا المسلوبة هم الحكام الطواغيت الذين يقرون

الشرك والكفر ويشرعون تشريع ما أنزل الله به من سلطان وعبادهم من يتحاكمون إليهم

يعني هناك من الناس من يفرد الله بالعبادة ولا يصرف منها شيئاً ولكن يجهل أن التحاكم عبادة لغير شريعة الله كفر أكبر يخرج من الملة فتراهُ يتحاكم إلى طواغيت الحكم في محاكمهم الوضعية قوانين إبليسية ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى على هذا الصنف من الناس الذي يجهل أن التحاكم لغير شريعة الله كفر وشرك

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(التوبة٣١) الأحبار هم العلماء جمع حبر والرهبان هم الكهنة والعباد وقوله أرباباً من دون الله لم يقول آلهة من دون الله لأن سبب الآية أن اليهود والنصارى كانوا يطيعون أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحريم من دون شريعة الله والتحليل والتحريم والحكم من صفات ربوبية الله سبحانه وتعالى ولذلك قال أرباباً أي جعلوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً جمع رب بسبب التسليم لهم والطاعة في التحليل والتحريم وهذه عبادة من العبادات الطاعة في التحليل والتحريم في الدماء والجروح والفروج والأموال عبادة محظ حق الله فمن أطاع

أحداً من الناس في التحليل والتحريم من دون شرع الله فقد اتخذ من يطيعهُ رباً من دون الله وكفر بالله العظيم وهذا يسمى شرك الطاعة والاتباع

ذكر الدليل على إن الطاعة بالتحليل والتحريم من غير شريعة الله عبادة عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب, فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثَنَ من عنقك ! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في " سورة براءة فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله)، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم فقال أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه, ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه قال: قلت: بلى قال: فتلك عبادتهم

وفي لفظ قلت: يا رسول الله, إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم! قال: صدقت, ولكن كانوا يُحلُّون لهم ما حرَّم الله فيستحلُّونه, ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرِّمونه.

عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: (اتخذوا أحبارهم) ؟ قال: أمَا إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم, ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلُّوه, وإذا حرّموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرَّموه, فتلك كانت رُبوبيَّتهم.

فعدي ابن حاتم الطائي رضي الله عنه كان يجهل أن الطاعة في التحليل والتحريم عبادة وكذلك جميع النصارى واليهود فلم يعذرهم الله بجهلهم وكذلك من يتحاكم لهذه المحاكم الطاغوتية الوضعية في التحليل والتحريم في بلاد المسلمين المسلوبة من الطواغيت وهو يجهل أنها عبادة فهو كافر بالله العظيم

(توحيد الأسماء والصفات ومعناه)

الأسماء جمع اسم والاسم مشتق من السمو وهو العلو وقيل من السمة وهي العلامة وعلى هذا اختلفوا والاسم عند النحاة ما دل على معنىً في نفسه غير مقترن بزمن والصفات جمع صفة والصفة هي الحالة التي يكون عليها الشيء من نعته وحليته وتوحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً هو الإيمان بأسماء الله وصفاته التي جاء بالكتاب والسنة إيمان بلا تشبيه أسماء الله وصفاته بخلقه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تفويض المعنى فصل

(توحيد الحاكمية ومعناه)

الحاكمية لغةً مصدر صناعي من حاكم يحكم والحكم في اللغة المنع وسُمِّي القضاء حكمًا؛ لأنه يمنع النزاع والخصومات وتوحيد الحاكمية اصطلاحاً هو إفراد الله بالحكم والتشريع فلا نحكم أحداً من الناس إلا رب العالمين في جميع أمور الدنيا والدين وتحكم الرسول صلى اللهُ عليه وسلم هو تحكيم الله سبحانه وتعالى الدليل على توحيد الحاكمية قال عز ذكره

إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (يوسف٤٠) وقال

وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (الرعد ٤١) وقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (المائدة١) وقال وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (الكهف ٢٦) وقال أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (المائدة٥٠)

وقال وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

(الشورى١٠) وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة 44)

وقال

فصل

(الإيمان بالملائكة ومعناه)

معنى الملائكة لغةً

الملائكة لغة: جمع ملك، قال ابن فارس: (الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة)

والملك أصله (ملاك) نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً، وهو مشتق من الألوكة والملائكة وهي: الرسالة، والملأك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى، يقال: ألك؛ أي تحمل الرسالة

قال الطبري رحمه الله: (فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده)

وإنما سميت الرسالة ألوكة ومألكة لأنها تؤلك في الفم، من قولهم: يألك اللجام ويعلكه

واعلم أن الإيمان بالملائكة ثاني أركان الإيمان والإيمان بهم يتضمن كالتالي

١ الإيمان بوجودهم جملةً

٢ الإيمان بهم على التعيين من علم منهم

وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك خازن النار ومنكر ونكير فتاني القبر

٣ الإيمان إنهم عباد الله مكرمون

٤ الإيمان إنهم لا ذكور ولا إناث ولا يشربون ولا يأكلون ولا يعصون الله ما أمرهم

٥ الإيمان إنهم خلقوا من نور لقوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم أخرجه مسلم

ومن الإيمان بهم إنهم رسل رب العالمين ولهم أجنحة قال تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (فاطر١)

ومن الإيمان بهم إنهم لهم قدرة على التشكل في صور الناس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : " يا محمد أخبرني عن الإسلام " ، فقال له : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) ، قال : " صدقت " ، فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : " أخبرني عن الإيمان " قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، قال : " صدقت " ، قال : " فأخبرني عن الإحسان " ، قال : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، قال : " فأخبرني عن الساعة " ، قال : (ما المسؤول بأعلم من السائل) ، قال : " فأخبرني عن أماراتها " ، قال : (أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ، يتطاولون في البنيان) ثم انطلق فلبث مليا ، ثم قال : (يا عمر ، أتدري من السائل ؟) ، قلت : "الله ورسوله أعلم " ، قال : (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) رواه مسلم .

فهذه صورة من صور تشكل الملائكة

فصل

(الإيمان بكتب الله ومعناه)

معنى الكتاب لغةً

اعلم أن الكتب لغةً جمع كتاب ويسمى كتاب لتجمع الحروف والكلام فيه تقول العرب تكتب بنو فلان يعنون اجتمعوا في صعيد واحد وبهذا سمي كتاب لتجمع الكلام فيه بموضع واحد أما معنى الإيمان بكتب الله فهو كالتالي

١ الإيمان أن الله ما أرسل رسول إلا أنزل له كتاب فنؤمن بكتب الله جملةً وأن لم نعرف أسمائها

الإيمان بكتب الله على التعيين التي ذكرت بالقرآن والسنة ومنها

١ التوراة هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام ومعنى التوراة في اللغة العبرية تعني الشريعة أو التعليم أو التوجيه فنؤمن أن الله أنزل التوراة على موسى فيها

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة ٤٤)

فالتوراة في زمن موسى وعيسى عليه السلام كتاب حق ونور نؤمن به ولكن بعد التحريف لا نؤمن بهذا التوراة الذي بيد اليهود لأنه محرف ولكن نؤمن بذاك الذي لم يحرف قال تعالى عن تحريف اليهود للتوراة

مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

(النساء ٤٦)

ومن الإيمان بالتوراة الإيمان إنه كلام الله وإنه كتبهُ بيده قال تعالى

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (الأعراف ١٤٥)

وجاء في حديث محاجة آدم لموسى عليه السلام أن آدم قال لموسى : " أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده وفي رواية " كتب لك التوراة بيده أخرجه مسلم: كتاب القدر باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (2652) وأخرجه البخاري

الثاني الإنجيل وهو كتاب عيسى ابن مريم عليهم السلام والإنجيل كلمة يونانية معناها البشرى السارة أو البشارة والإنجيل ايضا محرف حرفته اليهود فنحن نؤمن بالإنجيل الذي لم يحرف لأن الإنجيل هو الكتاب الثاني لليهود يسموه العهد الجديد والتوراة العهد القديم ولأن عيسى نبي لبني إسرائيل ولم يأتي ليغير

شريعة موسى ولكن جاء مكمل ومجدد لشريعة موسى عليه السلام قال تعالى عنه عليه السلام

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ [سورة آل عمران ٤٨/٥٨]

قال ابن كثير يقول تعالى - مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى ، عليه السلام - أن الله يعلمه (الكتاب والحكمة) الظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة . والحكمة تقدم الكلام على تفسيرها في سورة البقرة .

(والتوراة والإنجيل) فالتوراة : هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران . والإنجيل : الذي أنزله الله على عيسى عليهما السلام ، وقد كان عيسى عليه السلام ، يحفظ هذا وهذا

الإيمان بصحف إبراهيم وموسى

قال تعالى

قَدْ أَفْلَح مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

(الأعلى١٤١٩.)

الصحف جمع صحيفة وهي كتاب إبراهيم وموسى عليهم السلام أما كتاب موسى هو التوراة كما تقدم وأما صحف إبراهيم جاء في الأثر إنها جمع مواعظ وحكم وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم في عدة مواضع عن ما انزل على الانبياء منها مجملاً ومنها المبيَّن

أما المواضع المجملة ففي قوله تعالى :

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) البقرة/136

وقوله عز وجل :

(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

آل عمران/84 .

وأما المواضع الصريحة المبينة عن ما انزل على إبراهيم عليه السلام في سورة النجم ، حيث يقول الله تعالى :

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى . وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى . أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى . أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى)

وفي سورة الأعلى قال تعالى ذكره سبحانه :

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)

الأعلى/14-19.

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله :

" وأما الصحف : فإنها جمع صحيفة ، وإنما عُنِي بها : كتب إبراهيم وموسى "

انتهى.

" جامع البيان " (24/377)

يقول العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله :

" (وما أنزل إلى إبراهيم) لم يبين هنا هذا الذي أنزل إلى إبراهيم ، ولكنه بيَّن في سورة الأعلى أنه صحف ، وأن من جملة ما في تلك الصحف : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وذلك في قوله : (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) " انتهى

" أضواء البيان " (١/٤٥)

وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن تاريخ نزول صحف إبرهيم وموسى والإنجيل كما جاء عن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

: (أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ) رواه أحمد في "المسند بسند حسن

(4/107)

الكتاب الرابع الذي ذكر في القرآن وهو الزبور زبور داود عليه السلام والزبور لغةً تعني المكتوب من الفعل زَبَرَ الكتاب أي كتبه أو أتقن كتابته، فهو مزبور وزبور والزبور موجود في كتاب التوراة في سفر المزامير ومن النصارى من ينكر أنه زبور داود لأن الزبور في التوراة عبارة عن أناشيد وادعية وتسبيح ولكن حتى لو كان موجود أو غير موجود فنحن تقطع أنه نالتهُ يد تحريف اليهود قال تعالى وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ

(الأنبياء 21 : 105)

وقال

"وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 4 : 63).

"وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا"

(الإسراء 17 : 55)

فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن فيجب الإيمان بها على التعيين والإيمان بالباقية جملةً ما لم يعلم منها تفصيلاً

(الإيمان بالرسل والأنبياء ومعناه)

الرسل جمع رسول والرسول لغةً مأخوذٌ من البعث وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث المُوجَّه برسالة؛ قال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: 35]

وفي الاصطلاح الشرعي الرسول بشر طاهر مطهر من الله عليه بالرسالة والنبوة فاوحى الله له عن طريق جبرائيل أو تكلم معه بحرف وصوت برسالة يبلغ بها الناس عن ربه افعلوا ولا تفعلوا أي أمر ونهي وإباحة وليس من الجن رسل وأنبياء وأن كان قال به بعض العلماء ولكن جماهير أهل السنة منعوا ذلك وليس بالنساء نبيات ورسل كما يقول ابن حزم الأندلسي وهذا من سخافاته

واحتج ابن حزم بقوله تعالى

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

(القصص 7) فنقول لابن حزم هلا جعلت من النحل نبيات

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

(النحل 68)

فهذا الوحي للنحل إلهام غريزي وليس إرسال ملك أو تكلم الله مع النحل

وكذلك نقول لابن حزم هلا جعلت الحواريين

أنبياء قال تعالى

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.

{المائدة:111}. والحواريون هؤلاء ليسوا أنبياء ولا رسلاً وإنما ألهمهم الله بما أراده منهم كما ألهم أم موسى عليها السلام ولكن هذا هو المذهب الظاهري يوقع صاحبهُ بمسائل يضحك عليه بها العقلاء فضلاً عن أهلِ العلم والإيمان

ما الفرق بين النبي والرسول لغةً قلنا كما تقدم

أن الرسول مأخوذٌ من البعث وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث المُوجَّه برسالة هذا من حيث اللغة أما النبي من حيث اللغة فهو من نَبَأ، ومنه النَّبَأ بمعنى الخبر فالنبي من حيث اللغة من نبأ بخبر وكذلك في الشرع من نبأ بوحي ولكن اختلف العلماء هل كل نبي رسول فقالوا كل رسول نبي ولكن ليس كل نبي رسول لأن الله قد ينبأ رجل من الناس فيكون نبي ولكن لم

يرسله الله إلى قومه أو إلى طائفة من الناس فقالوا من منعوا هذا الكلام من اين جئتوا بهذا والله يقول

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(الحج 52) فالله وضح في هذه الآية إنه ما أرسل من رسول ولا نبي فالنبي هنا مرسل الله يقول وأنتم تقولون ليس كل نبي رسول فأجاب من منعوا أن يكون كل نبي رسول فقالوا قال تعالى :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا [مريم: 51] قالوا لو لا الإرسال أمرٌ زائد على النبوة ما فرقه الله في هذه الآية فقال عن موسى فكان رسولاً نبياً وقالوا ويدلّ على الفرق أيضاً ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِهِ

[الحج: 52]

قالوا والعطف يفيد المشاركة إذا دخل حرف الواو

والإيمان بالرسل يكون على التعيين من علم منهم في الكتاب والسنة ويكون مجملاً ما لم يعلم منهم قال تعالى

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا

(النساء 164)

بين الله في هذه الآية أن هناك رسل قصهم الله في كتابه وأعلمه لنبينا صلى اللهُ عليه وسلم في سنته ورسلاً لم يقصهم ولم يذكرهم فالذين لم يذكرهم نؤمن بهم إجمالا والذين ذكرهم نؤمن بهم على التعيين ما علمنا منهم اسمه وصفته في الكتاب والسنة وسنذكر الذين ذكروا في الكتاب والسنة إن شاء الله

عدد الأنبياء والرسل الذين ذكروا في القرآن والسنة

١آدم عليه السلام

٢إدريس عليه السلام

٣نوح عليه السلام

٤إبراهيم عليه السلام

٥إسماعيل عليه السلام

٦إسحاق عليه السلام

٧يعقوب عليه السلام

٨يوسف عليه السلام

٩موسى عليه السلام

١٠هارون عليه السلام

١١داود عليه السلام

١٢سليمان عليه السلام

١٣يونس عليه السلام

١٤أيوب عليه السلام

١٥زكريا عليه السلام

١٦يحيي عليه السلام

١٧عيسى عليه السلام

١٨ اليسع عليه السلام

١٩لوط عليه السلام

٢٠إلياس عليه السلام

٢١شعيب عليه السلام

٢٢صالح عليه السلام

٢٣ذا الكفل عليه السلام

٢٤هود عليه السلام

٢٥شيث عليه السلام

٢٦يوشع بن بن نون عليه السلام

٢٧الخضر عليه السلام

٢٨محمد الخاتم عليه الصلاة والسلام

هؤلاء الرسل والأنبياء ست وعشرون ذكروا في القرآن والباقي في السنة والخضر اختلف فيه هل هو نبي أم لا على قولين للعلماء وكثير من أصحابنا المتأخرين يرجحون أنه نبي منهم ابن تيمية وغيره وهو الصحيح والخضر عليه السلام مات وقول إنه حي خرافة صوفية واعلم أن من الإيمان بالأنبياء الإيمان أنه صادقون معصومون من الذنوب وأن نجلهم وننصرهم وأن لا نفرق بينهم في الإيمان وأنهم بشر لا يجوز التوسل بهم والاستغاثة والاستعانة بهم وأن أجسادهم لا تبلى موجودة في مواضعها

فصل

(الإيمان بالقدر خيره وشره ومعناه)

القدر لغة: التقدير يقال قدر الشيء أي بيّن مقداره وقدّر الشيء بالشيء أي قاسه به وجعله على مقداره وقدّر الأمر دبّره وقضى وحكم به ويرد بمعنى

القوة والطاقة أيضاً وعندما تنتقل الكلمة إلى باب التفعيل: قدّر يصبح معناها: حكم به ونفذ حكمه و قضى

والقدر في الاصطلاح الشرعية ما قدره الله وقضاه وحكم به وأقدار الله تنقسم إلى قسمين الأول ما قدره الله وكان هو فاعلهُ مثل خلق السماوات والأرض وما بينهما وخلق أفعال العباد ورزقهم وإحيائهم وإماتهم وغير ذلك من أفعاله الخاصة به سبحانه الثاني من أقداره سبحانه أفعال عباده مؤمنهم وكافرهم وعاصيهم التي جعل لهم مشيئة بفعل الخير والشر بعد قضائه وقدره ففعل الخير بقضائه الشرعي والكوني وفعل الشر والمعصية بقضائه الكوني الذي لم يرضاه شرعاً ولكن رضا وقوعه بقضائه الكوني بحكمه منه ليميز الخبيث من الطيب وليؤجر العاصي بمعصيته شراً ويؤجر فاعل الخير بفعل الطاعة خيراً فأهل السنة يؤمنون إن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره ولكن الطاعة من عمل العبد وبتوفيق الله والمعصية والكفر بفعل العبد وبوخذلان الله فلا تقع طاعة ومعصية في الأرض والسماوات إلا بقدر الله ولكن أقدار الله منها ما يحبها ويرضاها ومنها ما يكرها ويأباها فالذي يكره الكفر والفسوق والعصيان فربما رضا وقوع الكفر والفسوق والعصيان بقضائه الكوني وأن كان يكره بحكمةً منه وربما منع العبد من فعل الكفر والعصيان بأمره وقضائه الكوني وكذلك الطاعة

وبهذا يتبين لنا أن العبد لا يقدر على فعل المعصية والطاعة إلا بعد قضاء الله وقدره ومشيئته الكونية فالله سبحانه لا يقدر أحدا أن يطيعه إلا بتوفيقه ولا يقدر أحدا أن يعصيه إلا بقضائه الكوني فمشيئة الله قسمان شرعية وهي التي جاءت على لسان رسله وأنبيائه عليهم السلام فهذه المشيئة يهدي الله بها من يشاء من عباده من كان بهم خيرا هو عالمه والثانية كونية فهذه منها ما يشائه وقوعاً ولا يحبه شرعاً مثل فعل الكفر ومنها ما يحبه شرعاً مثل فعل الطاعة والخير والإيمان ومن الإيمان بالقدر الإيمان به خيرا كان أو شرا أنه من الله خلقاً وتقديرا ولكن الشر ليس من افعال الباري سبحانه اقصد أنه خلقه ولكن لم يأمر الناس والجن بأذيت بعضهم ولم يجبرهم على طاعة ولا معصية بل جعل لهم مشيئة وخلق حركاتهم وسكناتهم وكل افعالهم ولم يضلمهم قال تعالى عن خلق الافعال (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)

(الصافات 96) وقال عن مشيئة العباد

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (التكوير 29) واعلم إن فعل الخير والشر من العبد لا ينافي نسبتهما إلى الله خلقاً وإيجاداً، فالله خالق كل شيء، ومن ذلك خَلْق الإنسان وأفعاله فقد يشاء الله وقوع شيء لا يحبه ومن ذلك الكفر والمعاصي

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ

(الزمر 7) فهذه آية محكمة فصلت الأمر الذي زلت به اقدام من يشار إليه بالبنان بالعلم والتقوى فقوله ولا يرضى لعباده الكفر هذه الارادة الشرعية لا يرضى الله شرعاً الكفر به والمعاصي ولكن رضي وقوعه بإرادته الكونية وقوله وإن تشكروا يرضه لكم أي بإرادته الشرعية المتضمنة حبه والشكر هنا في الآية التوحيد وما تضمنه من أعمال البر والتقوى من الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد وغير ذلك من أعمال البر واعلم أن مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والإيجاد

فالعلم أن تؤمن إن الله يعلم ما كان وسيكون قبل خلق الخلائق بخمسين ألف سنة قال تعالى

عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِك وَلَا أَكْبَرُ [سبأ: 3]

وقال: أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة:231]

وقال: لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا [الطلاق: 12]

المرتبة الثانية من الإيمان بقدر الله

الكِّتابة:

أي: كتابته سبحانه لهذا العلمِ في اللوح المحفوظ قبل خلْق السماوات والأرض،

قال تعالى:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: 52، 53].

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: ومَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ القِيَامِةِ"[

[1] أخرجه أحمد في المسند (5/317)، وأبو داود برقم (4700)، والترمذي برقم (2156)

وعن عبدالله بن عمرِو بن العاصِ، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "كَتَبَ الله مقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ -، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"[2 أخرجه مسلم برقم (2653)]

وعن عمران بن حصينٍ رضي الله عنه قال: قال - صلى الله عليه وسلم كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُه، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِى الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"

[3 أخرجه البخاري برقم (3191)

وفي هاتين المرتبتين - الأولى والثانية - يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

[الحج: 70]

المرتبة الثالثة: المشيئة:

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: 13].

وقال تعالى:

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[التكوير: 28، 29].

المرتبة الرابعة: الخلق:

وهي أنَّه تعالى خالقُ كلِّ شيء، فلا يوجد شيءٌ إلا بمشيئته وخلقه، ومن ذلك أفعال العِباد، وهو تعالى خالقُ أفعالِ العِباد خيرها وشرها، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[الرعد: 16]، وقال سبحانه:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[الصافات: 96]،

قال الناظم عن هذه المراتب

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُه

وخلقُه وهو إيجادٌ وتكوينُ

وهذه أركان الإيمان بالقدر، وهي:

1- العلم السابق

2- الكتابة.

3- المشيئة

4- الخلق

فإن اختل واحداً منها لم يكن المرء مؤمناً بالقدر

وهناك تقديرات أخرى نسبية فريعة

• منها: التقدير العمري: حين يبلغ الجنين في بطن أمة أربعة أشهر يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد

• ومنها: التقدير الحولي: وهو الذي يكون في ليلة القدر، يكتب فيها ما يكون في السنة، قال الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: 4].

• ومنها التقدير اليومي: كما ذكره بعض أهل العلم واستدل له بقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: 29]، فهو كل يوم يغني فقيرًا، ويفقر غنيًا: ويجبر معدومًا، ويعدم جباراً ويبسط الرزق ويقدره، وينشئ السحاب والمطر، ويعز قوم ويذل قوم وينزع الملك ممن شاء ويؤتي الملك إلى من يشاء وغير ذلك

(الإيمان باليوم الآخر ومعناه)

اليوم اسم جمع أيام واليوم يعرف زمنٌ مِقدارُه من طُلوع الشمس إِلى غروبها هذا من حيث هو اليوم أما معنى الإيمان باليوم الآخر هو يوم القيامة والإيمان به ينقسم قسمين مجملاً وعلى التفصيل والتعيين أما المجمل هو أن تؤمن وتصدق تصديقاً جازماً بكل ما قاله الله ورسوله صلى اللهُ عليه وسلم عن يوم القيامة من الحشر والجنة والنار وحور العين وقيام الناس من قبورها وحشر الأجساد حفاة عراة وحسابهم أمام الله أما الإيمان على التفصيل 1- الإيمان بفتنة القبر ونعيمه وسؤال الملكين أخرج الترمذي وابن حبَّان بسند حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا قُبِر الميتُ - أو قال: أحدكم - أتاه ملَكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنكر، والآخر: النَّكير، فيقولان: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كُنَّا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يُقال له: نَمْ، فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نَم كنومةِ العَروسِ الذي لا يُوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد

كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها مُعذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك))

2 -الإيمان بأشراط الساعة - أي علاماتها ووقوعها

قال تعالى: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا) [محمد: 18]

أي: علاماتها وأماراتها واحدها: شرط

قال الإمام البغوي رحمه الله-: وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- من أشراط الساعة /

أي مبعثه من علامات الساعة

وقال تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) [الشورى: 17].

وقال تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [الزخرف: 66].

أي تأتيهم فجأة وهم لاهون لا يشعرون

ولقرب وقوع هذا اليوم وتحقّقه جعله سبحانه تبارك اسمه كغد، قال تعالى: (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: 18]

والغد: هو ما بعد يومك الذي أنت فيهِ

وقال تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا) [المعارج: 6 – 7].

أي يوم القيامة يراهُ الكفار بعيد الوقوع لإنكارهم وقوعه ويراهُ المؤمنين والله سبحانه قريباً لأنا في آخر الزمان

وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعاً: "بعثت أنا والساعة كهاتين" وأشار بالسبابة والوسطى

وفي الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً: "إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس"

وفي لفظ: "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس

فهذا قدر بقاء أمة الإسلام

3 الإيمان ببداية اليوم الآخر - الإيمان بالبعث - معنى البعث لغة

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي البعث : الإرسال ، كبعث الله من في القبور .

وبعثت البعير: أرسلته وحللت عقاله ، أو كان باركا فهجته ، قال :

أنيخها ما بدا لي ثم أبعثها كأنها كاسر في الجو افتخاء أما البعث في الاصطلاح الشرعي هو إخراج الناس من قبورهم برد أرواحهم وإنشاء اجسادهم من جديد فيعاد الإنسان روح وجسد من جديد قال تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ [سورة القمر:7] قال ابن كثير : "البعث هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة / الإيمان بالبعث واجب لا يقبل الله إيمان عبد إلا به وإن صلى وصام وزعم إنه مؤمن قال تعالى زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (التغابن 7)

4 الإيمان بالحشر - الإيمان فمن أعظم أيام يوم القيامة يوم الحشر قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾

[الواقعة: 49، 50].

وقال تعالى:

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

[الحجر: 25]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ [هود: 103].

وقال تعالى

﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 47]. وقال تعالى:

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾

[مريم: 93، 94]

5-الإيمان بالعرض والحساب - حساب الناس على أعمالهم فتعرض كتب الأعمال ويعرض الناس لرب العالمين . قال تعالى : والثواب والعقاب . قال تعالى : فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

[الحاقة : 15 - 18]

وقال تعالى

ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء

ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا

[الانشقاق : 6 - 15]

وقال

وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة [الكهف : 48] .

وقال :ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا [الكهف : 49]

وقال : يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار

[إبراهيم : 48]

وقال عن الحساب : رفيع الدرجات ذو العرش ، الآية إلى قوله : إن الله سريع الحساب

[غافر : 15 - 17]

وقال تعالى

واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

[البقرة : 181]

وروى البخاري رحمه الله في صحيحه ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله تعالى : " فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا [الانشقاق : 7 - 8] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب . يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولكنه تعالى يعفو ويصفح رحمة منه سبحانه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبلي ، أم جوزي بصعقة يوم الطور

واعلم أن هذا صعق في موقف القيامة ، إذا جاء الله لفصل القضاء ، وأشرقت الأرض بنوره ، فحينئذ يصعق الخلائق كلهم .

وروى الإمام أحمد ، والترمذي ، وأبو بكر ابن أبي الدنيا ، عن الحسن ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فعرضتان جدال ومعاذير ، وعرضة تطاير الصحف ، فمن أوتي كتابه بيمينه ، وحوسب حسابا يسيرا ، دخل الجنة ، ومن أوتي كتابه بشماله ، دخل النار . وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك : أنه أنشد في ذلك شعرا :

وطارت الصحف في الأيدي منشرة فيها السرائر والأخبار تطلع فكيف سهوك والأنباء واقعة

عما قليل ، ولا تدري بما تقع أفي الجنان وفوز لا انقطاع له

أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع تهوي بساكنها طورا وترفعهم

إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا طال البكاء فلم يرحم تضرعهم

فيها ، ولا رقة تغني ولا جزع لينفع العلم قبل الموت عالمه

قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

5 الإيمان بالحوض - قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

(أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه.

قال: (وحديثه متواتر النقل, رواه خلائق من الصحابة) انتهى قال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا آدم حدَّثنا شيبانُ حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: ((لما عُرِجَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى السَّماء قال: أتيت على نهرٍ حافَّتاهُ قبابُ اللؤلؤ المجوَّف فقلتُ ما هذا يا جبريلُ قال: هذا الكوثر))وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو الوليد حدَّثنا همام عن قتادة عن أنسٍ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم. وحدَّثنا هدبة بن خالد حدثنا همامُ حدثنا قتادة حدثنا أنسُ بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((بينما أنا أسيرُ في الجنَّةِ إِذ أنا بنهر حافَّتاهُ قِبابُ الدرِّ المجوَّف، قلت ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّكَ، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر)) شك هُدْبَة

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بن عفير قال حدثني ابنُ وهب عن يونس قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ قدر حوضي كما بين أَيْلَهَ وصنعاء من

اليمن، وإِنَّ فيه مِنَ الأباريقِ بعدد نجوم السماءِ)) ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ   وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بنُ إبراهيم حدثنا وهيبٌ حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقولُ أصحابي، فيقولُ لا تدري ما أَحْدثوا بعدك))   ورواه مسلم بلفظ ((إِنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجالٌ ممن صاحَبني حتى إذا رأيتهم ورُفعوا إليَّ اختلجوا دوني، فلأقولن أي ربِّ أصيحابي أصيحابي، فليقالَنَّ لي إِنَّك لا تدري ما أَحْدَثوا بعدك))

6 الإيمان بالميزان - قال ابن بطة في الإبانة:

وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء الزهاد العباد في جميع الأمصار: أن الإيمان بذلك/ يعني الميزان واجب لازم

و يقول السفاريني: والحاصل: أن الإيمان بالميزان _ كأخذ الصحف _ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع

و قد ترجم البرديسي لثبوته بقوله:

باب: في الموازين والكتب، ثم قال: اعلم أن الموازين حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة

و قد بوب البخاري رحمه الله على إثبات الميزان وما يوزن فيه بقوله:

باب: قوله تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [الأنبياء: 47] وأن أعمال بني آدم و قولهم يوزن واعلم أن الميزان المراد فمن فهم النصوص هو الميزان الذي تعرفه العرب له كفتان 1 – قال تعالى في كتابه الكريم

: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ

[الأعراف: 8 -9].

2 – وقال تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء: 47].

3 – وقال تعالى: فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ

[المؤمنون: 102 - 103].

4 – وقال تعالى: فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ [القارعة: 6- 9]

5 – وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [الكهف: 105]

ودلالة الآيات في وصف الميزان ظاهرة لا لبس فيها وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن, خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده, سبحان الله العظيم))و عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الطهور شطر الإيمان, والحمد لله تملأ الميزان, وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور, والصدقة برهان, والصبر ضياء, والقرآن حجة لك أو عليك, كل الناس يغدو, فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها))

7 الإيمان بالصراط قال شارح الطحاوية: (ونؤمن بالصراط: وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الجسر، كما قالت عائشة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أين الناسُ يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: ((هم في الظلمة دون الجسر))

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، في حديث طويل مرفوعًا، وفيه: ((ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم))، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: ((مدحضة مزلَّة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها: السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف والبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا))

ومعنى "مدحضة": مكان تزل فيه الأقدام ولا تستقر

ومعنى "مزلَّة": مكان تنزلق فيه الأقدام، وهو نفس المعنى.

ومعنى "الخطاطيف": جمع خطاف، وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء.

ومعنى "الكلاليب": جمع كلوب، وهو حديدة معطوفة الرأس، يعلق عليها اللحم، ويتناول بها الحداد الحديد من النار

و"الحسك" شوك صُلب قوي، "مفلطحة": لها عرض واتساع، و"عقيفاء" منعطفة معوجَّة.

اقول: وقد ثبت في بعض الآثار: أن الجسر أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف؛ فقد روى ابن جرير عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: 71]، قال: ((الصراط على جهنم مثل حد السيف...))

واعلم أن أول مَن يجيز على الصراط الرسولُ صلى الله عليه وسلم وأمته: لِما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في حديث طويل، وفيه: ((ويضرب الصراط بين ظهرانَيْ جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم...))

• وقبل الصراط يكون الناس في الظلمة، ثم يلقى عليهم النور ليمروا على الصراط، لكن يطفأ نور المنافقين؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: 12 - 15]، ورد ذلك موقوفًا عن ابن مسعود رضي الله عنه وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي قال: ((يجمع الله الناس يوم القيامة... إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك))

واعلم قد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: 71]:

1- فذهب البعض إلى أن المقصود به الدخول، وهو قول ابن عباس، وأنها تكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، واستدل بقوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: 98]، بمعنى: أدخلهم

2- وذهب آخرون إلى أن الورود هو المرور، وهو قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، فقد سئل عن الورود، فساق الحديث بطوله، وفيه: ((... ويعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون...))

والجمع بين الأقوال: أن ورود الكفار دخولهم إياها، وورود المؤمنين مرورهم عليها؛ فالكل يرد عليها مرورًا، ثم يسقط فيها المنافقون دخولًا، وينجو المؤمنون برحمة الله وعفوه

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيّها، وورود المشركين أن يدخلوها :: ونحن لا نجزم إن كل المؤمنين ناجين من الصراط فقد يقعون في النار بسبب ذنوب ارتكبوها الله اعلم

8-الإيمان بالجنة والنار اعلم إن الإيمان بالجنة والنار نعوذ بالله منها الإيمان إنهما موجودتان فنؤمن بأن الجنة والنار حق لا شك فيهما، وأن الجنة دار أولياء الله المتقين، والنار دار أعداء الله الكافرين؛ قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران: 131 - 133].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ورُوح منه، والجنة حق، والنار حق - أدخَله الله الجنة على ما كان من عمل))

و نعتقد وجودهما الآن، كما تقدم من الآيات عن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: 131]، وعن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، وقال تعالى: ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم: 14، 15].

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف قال: ((قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب، وأنا معهم، فإذا امرأة حسبت أنه قال: تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا، لا أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل) وثبت نحوه من حديث جابر عند مسلم

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب، ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقَطهم؟ وقالت النار: يا رب، ما لها يدخلونها الجبارون المتكبرون؟ فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها)

نعتقد دوامهما وبقاءهما خلافاً لأهل الكفر والبدع وذلك بإبقاء الله لهما، وأنهما لا يفنيان، قال تعالى عن الجنة: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[التوبة: 100]، وثبت في الحديث: ((ينادي منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تَشِبُّوا فلا تهرَموا أبدًا، وأن تحيَوْا فلا تموتوا أبدًا))

وقال تعالى عن النار: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: 64، 65].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: 39]))[5] فهذا الإيمان باليوم الآخر جملةً وتفصيلا يا رعاك الله

فصل

ذكر أحوال الناس الناطقين بلا إله إلا الله وما خاضوه من الفهم الباطل بهذه الكلمة العظيمة وما خالفوه من مقتضى هذه الكلمة

أولاً معنى كلمة التقوى لا إله إلا الله اعلم إن معنى (لا إله) هذه تسمى اداة النفي عند النحاة فمعنى قولنا لا إله أي لا إله حق وإلا توجد آلهة باطلة مخترعة فهذه كلمة (لا إله) تنفي الأنداد وهو كل شيء ساويتهُ بالله في الحب أو الأسماء والصفات أو صرفت له العبادة من صنم وشجر ووليٍّ ونبيٍّ أو احببتهُ أكثر من الله من أهل وعشيرة ووطن وأي شيء كان وتنفي الأرباب وهو كل من وصفته بصفات الربوبية بلسان مقالك أو حالك وتنفي الطواغيت وهو كل من دعا الناس لعبادته أو رضي بها أو ادعا علم الغيب أو شرع قانون وحكمُ به الناس طوعاً أو كرهاً أو كان ساحراً أو شيطاناً مريدا فكل هذه طواغيت وتنفي الآلهة وهو كل شيء معبود من دون الله فكل شيء عبد من دون الله فهو إله عند من عبده

وأما معنى (إلا الله) فهو إثبات الألوهية وهي العبادة وإثبات والربوبية وهي الخالقية والمالكية والرازقية وإثبات الحاكمية وهي إفراد الملك في الحكم والتشريع وإثبات الأسماء والصفات فهذه كلها لله إثباتاً له وحده لا شريك له فإثبات الألوهية في كلمة لا إله إلا الله بدلالة المطابقة وإثبات الربوبية بدلالة التضمن وإثبات الأسماء والصفات بدلالة التضمن وإثبات الحاكمية بدلالة التضمن والالتزام فالمعنى الإجمالي لكلمة لا إله إلا الله، تعني لا معبود بحق إلا الله وأما

إثبات الربوبية والحاكمية والأسماء والصفات بهذه الكلمة بدلالة التضمن والالتزام فالمعبود الحق هو الإله وهو الرب وهو الحاكم وهو صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى وهو الله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى فالإله في لغة العرب تعني المعبود وليس تعني الرب ولذلك خالف في فهم هذه الكلمة العظيمة من خالف فإذا عرفت معنى كلمة التقوى لا إله إلا الله وهي لا معبود حق إلا الله وإن الإله تعني المعبود فاعلم إن الناس الناطقين بكلمة لا إله إلا الله في هذا الزمان على أحوال بفهم هذه الكلمة العظيمة من حيث الوضع اللغوي والشرعية ومن حيث العمل بمقتضى هذه الكلمة العظيمة ونحن نذكرهم واحدا واحدا ونذكر مذاهبهم في هذه الكلمة

(الصنف الأول من ينطق بكلمة التوحيد ويظن معناها لا رب إلا الله)

فالصنف الأول يا رعاك الله ينطق بهذه الكلمة العظيمة دهرهُ كله ويظن أن معناها لا رب خالق رازق ومحيي ومميت إلا الله وهذا جهل مركب بفهم هذه الكلمة العظيمة ولذلك تراهُ يتناقض قوله بهذه الكلمة مع فعلهُ فتراهُ يشرك بالله ويعبد غيره لأنه تصور أن كفار قريش الذي قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنما كانوا ينكرون وجود الله وإن أصنامهم كانوا يتخذونها أرباباً من دون الله ويعتقدون إنها تحي وتميت وترزق وتشافي وتعافي وتدبر الأمر وتتصرف

في الكون هكذا يظن هذا الجاهل الأنوك فالذي يكون هذا حالهُ وفهمه بكلمة لا إله إلا الله لا ينفعه النطق بهذه الكلمة وهو من جملة الكافرين والحيوانات الناطقة لأن أول شرط من شروط كلمة التقوى لا إله إلا الله العلم بمعناها نفياً وإثباتاً نفي العبودية والألوهية عن ما سوى الله وإثباتها لله وحده والنفي المراد منه جحد عبادة أي معبود من دون الله والكفر به وتكفير عباده ومواليه وأكثر الدهماء من العوام يعتقدون بهذه الكلمة ما قدمناهُ فكانوا كافرين من حيث لا يعلمون لاعراضهم عن تعلم هذه الكلمة العظيمة التي أمرنا الله أن نتعلم معناها ونعمل بمقتضاها قال تعالى :(فاعلم أنَّه لا إله إلاَّ الله)

سورة محمد:(19) فقد نزلت هذه الآية الكريمة على نبينا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم بعد ثلاث عشرة سنة من دعوته إلى التوحيد وبذل وسعه بل كاد أن يقتل نفسه لأجل إدخال الناس في دين الله وتعليمهم التوحيد اتظن أن المراد بقوله فاعلم هو عليه الصلاة والسلام كلا أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وعلم أن هذه الكلمة كلمة شهادة وكيف يشهد بها من لا يعلم معناها قال الشيخ سليمان بن عبد الله في معرض كلامه على من يجهل معنى كلمة لا إله إلا الله وَقوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِيمَا رَوَاهُ عبَادَة بن الصَّامِت. قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم "من شهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ

وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله وَأَن عِيسَى عبد الله وَرَسُوله وكلمته أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَم وروح مِنْهُ، وَالْجنَّة حق، وَالنَّار حق، أدخلهُ الله الْجنَّة على مَا كَانَ من الْعَمَل

وَالشَّاهِد: قَوْله من شهد كَيفَ يشْهد وَهُوَ لَا يعلم، إِذْ مُجَرّد النُّطْق بالشَّيْء لَا يُسمى شَهَادَة بِهِ

انتهى كلامه

أقول ومن الدليل على اشتراط العلم

قال البخاري رحمه الله في صحيحه

باب العلم قبل القول والعمل وقوله سبحانه

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ

سورة محمد صلى اللهُ عليه وسلم (١٩)

انتهى المراد من كلامه وقال تعالى

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

(سورة الزخرف ٨٦)

قوله إلا من شهد بالحق أي بلا إله إلا الله وقوله وهم يعلمون أي بما نطقت به ألسنتهم وقلوبهم بهذه الكلمة العظيمة ذكر من قال من أهل التأويل على ما قلنا

قال مجاهد على قوله سبحانهُ

إلا من شهد بالحق قال كلمة الإخلاص وهم يعلمون أن الله حق وعيسى وعزير والملائكة إلا من شهد بالحق وهو يعلم الحق

قال أبو جعفر بن جرير الطبري

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد إلا من شهد بالحق وشهادته بالحق هو إقراره بتوحيد الله يعني بذلك إلا من آمن بالله وهم يعلمون حقيقة توحيده

انتهى المراد من كلامه فانظر إلى قوله وهم يعلمون حقيقة توحيده وابن جرير إمام أهل التفسير من غير منازع عند أهل السنة قال

وفي تفسير الإمام الشافعي في قوله تعالى

(إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

أخبرنا الربيع قال قال الشافعي رحمه الله ولا يسع شاهداً أن يشهد إلا بما علم والعلم من ثلاثة وجوه الوجه الأول منها ما عاينه الشاهد فيشهد بالمعاينة والوجه الثاني ومنها ما سمعه فيشهد ما أثبت سمعاً من المشهود عليه

الوجه الثالث ومنها ما تظاهرت به الأخبار مما لا يمكن في أكثره العيان وتثبت معرفته في القلوب فيشهد على هذا الوجه

انتهى كلامه تفسير الشافعي

الدليل من السنة على شرط العلم

عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم

من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة

رواه مسلم في صحيحه أي من عرف أن الله هو الإله الحق وأفردهُ بالعبادة وكفر بالآلهة الباطلة المعبودة من دونه سبحانه وتبرأ من المشركين وشهد عليهم بالكفر دخل الجنة

ذكر قول العلماء في حكم من جهل كلمة لا إله إلا الله وتكفيره

(قول المالكية)

قال الإمام الونشريسي علامة أهل المغرب عمن نطق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله هو لا يعلم معناها

من نشأ بين أظهر المسلمين وهو ينطق بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى اللهُ عليه وسلم ويصوم ويصلي إلا أنه لا يعرف المعنى الذي انطوت عليه الكلمة الكريمة لا يضرب له في التوحيد بسهم ولا يفوز منه بنصيب ولا ينسب إلى إيمان ولا إسلام بل هو من جملة الهالكين وزمرة الكافرين وحكمه حكم المجوس في جميع أحكامه إلا في القتل فإنه لا يقتل إلا إذا كان امتنع عن التعليم انتهى كلامه المعيار المعرب في فتاوى المغرب (٣٨٣/٢)

(قول الحنابلة)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه

لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيءٍ من هذا لم يكن الرجل مسلماً فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند فإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق انتهى

وقال ابن القيم

والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله ورسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأتِ العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل وقال ايضاً

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها مؤمن عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً متصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة ثمرتها كل وقت انتهى

وقال الشيخان حسين وعبد الله أبناء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

إن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه وصدق الرسول صلى اللهُ عليه وسلم فيما أخبر به وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به وآمن به وبما جاء به

انتهى

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله مستدلاً على أن العلم شرط في دخول المرء في نطقه بكلمة لا إله إلا الله الإسلام وقد تقدم قوله ولا بأس

وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله

(من شهد) إذ كيف يشهد وهو لا يعلم ومجرد النطق بالشيء لا يسمى شهادة به

انتهى

وكذلك قال ابن تيمية

والشهادة لابد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور

انتهى

قول الشافعية في من جهل التوحيد

قال الإمام الزركشي الشافعي على ما لا يجوز الجهل فيه

أما ما لا يعذر أحد بجهله فهو مما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله تعالى فهذا القسم لا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله

(فاعلم أنه لا إله إلا الله)

وأنه لا شريك له في الإلهية وإن لم يعلم أن (لا) موضوعة في اللغة للنفي (وإلا) للإثبات وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى

أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه طلب إيجاب المأمور به وإن لم يعلم أن صيغة (أفعل)

للوجوب فما كان من هذا القسم

لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة

انتهى

ومما يؤثر عن الإمام الشافعي رحمه الله يقول

لو عذر الجاهل لجهله لكان الجهل خيراً من العلم

قال الإمام السمعاني الشافعي في تفسيره

فإن قيل كيف قال فاعلم أنه لا إله إلا الله وقد علم والجواب من وجهين أحدهما أن المراد منه هو الثبات على العلم لا ابتداء العلم والثاني أن معناه فاذكر أنه لا إله إلا الله فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنده ويقال الخطاب مع الرسول والمراد منه الأمة

أنتهى كلامه

قلت رعاك الله مما لا شك فيه أن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل واعتقاد ولا يشك مسلم أن من تلفظ بكلمة التوحيد وهو يجهل معناها وما دلت عليه فُقد عنده اعتقاد القلب وإذا فُقد اعتقاد القلب فقد الإيمان بالكلمة العظيمة لا إله

إلا الله وإذا فقد الإيمان بكلمة التوحيد كان كافراً جاهلاً لم يعرف الإسلام وهذا ما لا يشك أحد به بداهة ومن قال على من جهل التوحيد إنه مسلم ويكفي التلفظ بها من غير معرفة معناها فهو صحح إسلام كافر فلا شك بكفر من قال هذا القول وهذا القول غالب قول مرجئة العصر قاتلهم الله فإنهم الإسلام عندهم النطق فقط فمن نطق بكلمة التوحيد عندهم مسلم حرام الدم والمال وإن جاء بطامات الكفر كجعل مع الله إلهً آخر وتولي المشركين حتى قال أحد غلاتهم من قال أحد من المسلمين أن الله ثالث ثلاثة لا يكفر حتى تقام عليه الحجة وهذا القول لا شك مفارقة لدين الإسلام بل لا شك بكفر من شك بكفر هذا الملعون الزنديق الكافر وهو طلعت زهران قبحهُ

(الصنف الثاني من يقول لا إله إلا الله ويظن أن معناها هو الرب القادر على الاختراع)

الصنف الثاني من الناس الناطقين بكلمة التوحيد ويظن معناها وهو الرب القادر على الاختراع وهذا الصنف هم أهل الكلام من الأشاعرة ومن لف لفهم فهؤلاءِ يؤلفون الكتب والرسائل الطوال يقررون بها توحيد الربوبية ويجعلونه هو الغاية من بعثة الرسل فمن أقر به فهو الموحد عندهم ولذلك انتشر الشرك بسببهم

فأين ما تجد الأشاعرة والماتريدية تجد الشرك والكفر وعبادة القبور ولذلك يقول الضال محمد عبده: (أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له... وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما تشهد به آيات الكتاب العزيز انتهى المراد من كلامه هذا كلامه يدل على إنه لم يفهم الإسلام ولا الغاية التي لأجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب ولأجلها خلقنا الله ولذا يقول الله تعالى:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

[يوسف: 106] يعني ما يؤمن أكثرهم بتوحيد الربوبية إلا وهو مشرك بتوحيد الألوهية عن ابن عباس: في قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) , قال: من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق السماء ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله . وهم مشركون.

وعن عكرمة ايضاً في قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال: تسألهم: مَن خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون: الله . فذلك إيمانهم بالله , وهم يعبدون غيره

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه في القواعد

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ }

(يونس 31)

قال المقريزي رحمه الله : (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الألوهية) إلى أن قال: (من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد في ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفترق الطرق بين المؤمنين والمشركين انتهى المراد من كلامه

(الصنف الثالث من يقول لا إله إلا الله ولا يكفر المشركين بحجة العذر بالجهل وغير ذلك)

الصنف الثالث ممن يقول لا إله إلا الله ويعرف معناها ولكن لا يكفر المشركين ويعذرهم بالجهل وغير ذلك وهؤلاءِ كفار زنادقة لا ينفعهم قولهم بلا إله إلا الله لأنهم كذبوا الله لأن الله حكم على كل مشرك بالنار والكفر قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 21، 22] وعابد القبور مشرك عبد غير الله مع الله والمرجئ الكافر يقول إنه مسلم حرام الدم والمال وحلال نكاحه وموالاته

وقال ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾

[البقرة: 116] و عابد القبور يقول إن الله ثاني الثنين بلسان حاله وإن لم يقل بلسان مقاله لأنه جعل مع الله إلهً آخر والمرجئ يقول عنه إنه موحد كافراً بالطاغوت ويكذب الله وآياته ولا ريب إنه كافر من لم يكفره فهو كافر

وقال ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: 165].

وعباد القبور اتخذوا من دون الله أنداداً وكل من اتخذ من دون الله أنداداً في الحب والعبادة فهو مشرك كافر والمرجئ العاذر يقول إنه لم يتخذ من دون الله أنداداً لأنه مسلم جاهل تلبس بشرك سبحانك اللهم هذا بهتانٌ عظيم

وقال ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: 64].

وعباد القبور عبدوا غير الله واشركوا به فكانوا كافرين والعاذر يأبى ذلك إلا أن يكذب الله

وقال ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[آل عمران: 67].

وعباد القبور ليسوا حنفاء ولا مسلمين ولكن مشركين والعاذر يقول إنهم حنفاء ومسلمين ويكذب الله بكل وقاحةً

وقال ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: 36].

وعباد القبور أشركوا بالله اشياء والعاذر يقول لا يقع عليهم الشرك لأنهم يقولون لا إله إلا الله

وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 48].

وعباد القبور افتروا على الله إثماً عظيماً و أشركوا بالله والعاذر يقول لم يفتروا على الله ولم يقع عليهم الشرك

وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾

[النساء: 116، 117].

والعاذر يقول عابد القبور يغفر الله له وإنه من أهل الجنة ويجوز الترحم عليه والصلاة عليه سبحانك اللهم هذا بهتانٌ عظيم

وقال ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 72، 73]. والعاذر يقول عن عابد القبور مأواهُ الجنة

وقال ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: 88]. والعاذر يقول عمله مقبول والمقصود من ذكر هذه الآيات العظام هو إنها تدل على كفر العاذر والشاك في كفر المشركين

العابدين غير الله وأشركوا به وكفر من شك بكفرهم أو عذرهم بدلالة التضمن والالتزام المطابقة

(الصنف الرابع من يقول لا إله إلا الله وهو يحكم بغير ما أنزل الله ويبدل شريعة الله)

الصنف الرابع الذي يقول لا إله إلا الله ويناقضها بتبديل شرع الله بالقانون الوضعي فيحكم بغير ما أنزل الله ويزعم إنه مسلم وهؤلاءِ طواغيت العرب حكام هذا الزمان فلا ينفعهم قولهم بلا إله إلا الله ولأنهم ناقضوها لأن من يقول لا إله إلا الله يلزم إن يفرد الله بتوحيد الحاكمية كما يلزم أن يفرده بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وبهذا كفروا بالله والدليل على كفرهم قال تعالى

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[النساء: 65] فجعل من لم يحكم الرسول بشرع الله ليس مؤمن والمقصود بالإيمان هنا أصل الإيمان وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدرِ خيرهِ وشرهِ وبالبعثِ بعدَ الموت

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: 21].

وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: 54]

قوله تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام: 57]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: 44]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: 88]

وقال تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 26]،

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: 10]

والله سبحانه وعز ذكره وصف المشرع من دونه بأنه ندٌّ وشريك له كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: 21]

وقال تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31].

وعن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عُنقي صليبٌ من ذهبٍ، قال: فسمعته يقول: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: 31]"

قال: قلت: يا رسول الله، إنهم لم يكونوا يعبدونهم قال: ((أجل، ولكن يحلُّون لهم ما حرم الله، فيستحلونه، ويحرّمون عليهم ما أحَلَّ الله، فيحرِّمونه؛ فتلك عبادتهم لهم))

رواه البيهقي في "السنن الكبرى وابن جرير الطبري وغيرهم

وتأمل ما قال تعالى: {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

وقوله {والله يحكم لا معقب لحكمه}

وقوله {إن الله يحكم ما يريد}

وقوله {ولا يُشرك في حكمه أحداً}

وقوله (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

[المائدة: 50]

(الصنف الخامس من يقول لا إله إلا الله ويتحاكم للطواغيت بمحاكمهم)

الصنف الخامس من يقول لا إله إلا الله ويناقضها بتحاكمه للطواغيت طواغيت الحكم والتشريع فيذهب لمحاكم الطاغوت يطلب الحكم ويتحاكم في فض النزاعات وهؤلاءِ ليسوا بمؤمنين بالله قال تعالى عن هذا الصنف

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً}

(سورة النساء آية: ٦٠.)

قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الطاغوت الشيطان

وقال مجاهد الطاغوت الشيطان في صورة الإنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم/

أي ولي أمرهم ورئيسهم

وقال جابر رضي الله عنه الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين عن أبي العالية ، أنه قال : الطاغوت : الساحر عن سعيد بن جبير قال : الطاغوت : الكاهن

قال ابن جرير الطبري : حدثنا الحسين قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج : " فمن يكفر بالطاغوت " قال : كهان تنزل عليها شياطين ، يلقون على ألسنتهم وقلوبهم . أخبرني أبو الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنه سمعه يقول : - وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال - : كان في جهينة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد ، وهي كهان ينزل عليها الشيطان / قلت فلا تختلف طواغيت عصرنا عن طواغيت ذاك الزمان يعني هناك من الناس من يفرد الله بالعبادة ولا يصرف منها شيئاً ولكن يجهل أن التحاكم عبادة لغير شريعة الله كفر أكبر يخرج من الملة فتراهُ يتحاكم إلى طواغيت الحكم في محاكمهم الوضعية قوانين إبليسية ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى على هذا الصنف من الناس الذي يجهل أن التحاكم لغير شريعة الله كفر وشرك

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(التوبة٣١) الأحبار هم العلماء جمع حبر والرهبان هم الكهنة والعباد وقوله أرباباً من دون الله لم يقول آلهة من دون الله لأن سبب الآية أن اليهود والنصارى كانوا يطيعون أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحريم من دون شريعة الله والتحليل والتحريم والحكم من صفات ربوبية الله سبحانه وتعالى ولذلك قال أرباباً أي جعلوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً جمع رب بسبب التسليم لهم والطاعة في التحليل والتحريم وهذه عبادة من العبادات الطاعة في التحليل والتحريم في الدماء والجروح والفروج والأموال عبادة محظ حق الله فمن أطاع أحداً من الناس في التحليل والتحريم من دون شرع الله فقد اتخذ من يطيعهُ رباً من دون الله وكفر بالله العظيم وهذا يسمى شرك الطاعة والاتباع

ذكر الدليل على إن الطاعة بالتحليل والتحريم من غير شريعة الله عبادة عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب, فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك ! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في " سورة براءة فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله)، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم فقال أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه, ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه قال: قلت: بلى قال: فتلك عبادتهم

وفي لفظ قلت: يا رسول الله, إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم! قال: صدقت, ولكن كانوا يُحلُّون لهم ما حرَّم الله فيستحلُّونه, ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرِّمونه.

عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: (اتخذوا أحبارهم) ؟ قال: أمَا إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم, ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلُّوه, وإذا حرّموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرَّموه, فتلك كانت رُبوبيَّتهم.

فعدي ابن حاتم الطائي رضي الله عنه كان يجهل أن الطاعة في التحليل والتحريم عبادة وكذلك جميع النصارى واليهود فلم يعذرهم الله بجهلهم وكذلك من يتحاكم لهذه المحاكم الطاغوتية الوضعية في التحليل والتحريم في بلاد المسلمين المسلوبة من الطواغيت وهو يجهل أنها عبادة فهو كافر بالله العظيم ولا ينفعه النطق بهذه الكلمة العظيمة لا إله إلا الله

(الصنف السادس من يقول لا إله إلا الله ويوالي المشركين من يهود ونصارى وغيرهم)

الصنف السادس من الناس من يقول لا إله إلا الله ويوالي المشركين العابدين غير الله من يهود ونصارى وعبدة أوثان ويظاهرهم على المسلمين وهؤلاء كثير في هذه الأمة مثل حكام العرب وجيوشهم من أهل السلاح واللسان من المرجئة وهؤلاء كفار بلا ريب ولا ينفعهم النطق بلا إله إلا الله والدليل على كفرهم قال تعالى

: وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة: 23]: الظلم هنا المراد منه الظلم الأكبر بمعنى الكفر الذي ينقل عن الملة والعياذ بالله

ويقول ابن كثير عند تفسيره لقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.. [الممتحنة:13]: ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا.. فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وإخلاء

ويقول البيضاوي عند تفسيره لقوله سبحانه: وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ [المائدة:51]: أي: من والاهم منكم، فإنه في جملتهم، وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم انتى كلامه وقال تعالى تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا

يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [المائدة:83-84].

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هذه الآية: فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط، وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه

(الصنف السابع من يقول لا إله إلا الله وينكر الأسماء والصفات ويقول بخلق القرآن)

الصنف السابع من يقول لا إله إلا الله وينكر الأسماء والصفات ويقول بخلق القرآن فهؤلاءِ كذبوا الله ورسوله فكفروا بالله ورسوله صلى اللهُ عليه وسلم فلا ينفعهم النطق بلا إله إلا الله والدليل على كفرهم

قال تعالى

: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ [العنكبوت:68].

وقال تعالى وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأعراف 180)

فهؤلاءِ كذبوا الله وخالفوا الإجماع في إثبات الأسماء والصفات وإن القرآن كلام وصفة من صفاته الذاتية والفعلية وألحدوا في أسماء الله وصفاته والإلحاد في اللغة الميل فهم مالوا عن مذهب الحق في إثبات الأسماء والصفات إلى الباطل والإلحاد أنواع في أسماء الله وصفاته الأول أن ينكر أن لله أسماء وصفات جملةً وتفصيلا الثاني أن ينكر ما تضمنته الأسماء والصفات مثل ما يقول المبتدعة رحيم بلا رحمة سميع بلا سمع الثالث أن يجعل إثبات الأسماء والصفات تشبيها وتجسيما فيؤول ظاهرها تأويلاً يخالف ما تضمنته الأسماء والصفات لغة وشرعا وإجماعا الرابع أن يشتق من هذه الأسماء والصفات اسما أو صفتا لمخلوق مثل ما تفعل العرب اشتقت من اسم الله العزيز العزى فكل هذا الإنكار والتأويل كفر وردة ولا ينفع من وقع بهذه المذاهب قوله لا إله إلا الله والذين وقعوا بهذه المذاهب الضالة وإنكار الأسماء والصفات هم الجهمية والمعتزلة

والأشاعرة والماتريدية وغيرهم ممن تأثر بهم وهؤلاء لا ريب أنهم كفار لأنهم أنكروا توحيد الأسماء والصفات جملةً

(الصنف الثامن من يقول لا إله إلا الله ويستهزأ بدين الله)

الصنف الثامن من يقول لا إله إلا الله ويستهزأ بدين الله ثوابه أو عقابه وهذا الصنف كثير في هذه الأمة هناك ناس ليس همهم إلا الاستهزاء دين الله تراه لا يمزح إلا بشرع الله وهؤلاءِ لا شك بكفر من شك بكفرهم وقولهم بلا إله إلا الله لا ينفعهم ابداً قال تعالى عن هذا الصنف ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: 65-66].

فبينت هذه الآية الكريمة نصُّ في كفر من استهزأ بالله تعالى، وآياته، ورسوله، سواء استحلَّ ذلك أو لم يستحل خلافاً لقول الزنادقة مرجئة العصر فمجرد الاستهزاء بالمذكورات ردّة عن الدِّين بإجماع علماء المسلمين، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء، كأن يكون مازحاً أو هازلاً ومن صور هذا الاستهزاء إذا رأوا احدا

من المسلمين له هدي ظاهر وطالق لحيته قالوا عنه داعشي أو وهابي أو إذا مر جماعة ملتزمين يقولون جاء أهل الديك بالكاف بدل النون استهزاءً وسخرية بهم

(الصنف التاسع من يقول لا إله إلا الله وهو تارك للصلاة)

الصنف التاسع من يقول لا إله إلا الله وهو تارك للصلاة دهره فهذا لا ينفعه قوله لا إله إلا الله لأن إقامة الصلاة من مقتضى لا إله إلا الله وايضاً دل الدليل أن تارك الصلاة سواء تهاوناً أو جحوداً كافر قال النبي ﷺ: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة ولقوله ﷺ: بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة رواه مسلم في صحيحه.

والكفر والشرك إذا عرف بآل فالمراد به الكفر الأكبر والشرك الأكبر، كما وهو معروف عند أهل الأصول ولقوله ﷺ: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر فجعل مجرد الترك كفر وليس كما يقول المرجئة إلا إذا جحد وجوبها يكفر لأنهم الكفر عندهم التكذيب فقط

(الصنف العاشر من يقول لا إله إلا الله هو يكتم ما أنزل الله ولا يبينه للناس)

الصنف العاشر من يقول لا إله إلا الله وهو يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى وهم أكثر علماء المرجئة وغيرهم ممن لعنه الله وهؤلاءِ لا ينفعهم قولهم بلا إله إلا الله لأنهم كفروا بكتمانهم الحق قال تعالى عن هذا الصنف

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (البقرة 174)

وقال تعالى

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(الأعراف 176) ذكر أهل التفسير أن هذا الذي آتاهُ الله آياته اسمه بلعام بن باعوراء رجل آتاه العلم فكفر بالله بكتمانه العلم وقيل غير ذلك ولنذكر القصة

قال أهل التفسير كان بلعام بن باعوراء رجل يعرف اسم الله الأعظم وهو مُجاب الدعاء في قومه، وكان من الكنعانيين من مدينة الجبَّارين، وعندما قدِم موسى -عليه السلام- من أجل حرب الجبارين قوم بلعام بن باعوراء نزلَ في أرضِ بنِي كنعَان من أرض الشَّام، عند ذلك اجتمع قوم بلعام بن باعوراء إليه وقالوا له: إنَّ موسى رجلٌ شديد، ومعه جندٌ كثير، وإنَّه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلُّها بني إسرائيل، وأنت رجل مُجاب الدعوة، فاخرُج فادعُ الله أن يردَّهم عنا. فقال لهم: ويلكم! نبيُّ الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟، وإنِّي إن فعلتُ هذا ذهبت دنياي وآخرتي. فأعادوا الكرَّةَ وراجعوه مرارًا وألحوا عليه، فقال لهم: حتَّى أراجعَ ربي. لأنَّه كان لا يدعو حتَّى ينظر ما يؤمرُ في منامه، فقيل له في المنام: لا تدعُ عليهم. فقال لقومه: إنِّي آمرتُ ربي وإنِّي قد نُهيت عن الدعاء عليهم، فأهدوا إليه هديةً فقبلها ثمَّ راجعوه في ذلك، فقال: حتَّى أؤامرَ ربي، فآمرَ فلم يوحَ إليه بشيءٍ، فقال: قد آمرتُ فلم يوحَ إليَّ بشيءٍ. فقالوا: لو كره ربُّكَ أن تدعو عليهم لنهاكَ كما نهاكَ أول مرة. وما زالوا يتوسلون إليه ويُلحُّون عليه حتّى فتَنوه. فركبَ أتانًا له وتوجَّه إلى جبل يطلعه على جند بني إسرائيل.

فلمَّا سارت بهِ قليلًا ربضَت الأتان ورفضت المشي، فنزل وضربها حتى قامت مرةً أخرى ثمَّ مشت قليلًا وربضت ففعلَ مثل ما فعلَ فقامت الأتان فركبها فلم تمشي به إلا قليلًا ثمَّ ربضَت فنزل وضربها فأذن الله لها بالكلام، فكلمته حجَّة عليه، قالت: ويحكَ يا بلعم أين تذهب! ألا ترى الملائكة أمامي تردُّني عن وجهي هذا أتذهبُ بي إلى نبيِّ الله والمؤمنين تدعو عليهم؟، فلم يسمع لها ولم يصغ إلى قولها لحكمة أرادها الله تعالى، فخلَّى الله سبيلها حتى إذا أشرفت على جبل حُسبان، صار يدعو بلعام بن باعوراء، فلا يدعو بدعاء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانهُ إلى بني إسرائيل.

فقال له قومه: يا بلعم أتدري ماذا تصنع؟ إنَّما تدعو لهم وتدعو علينا!، فقال: هذا ما لا أملكه هذا شيءٌ قد غلَبَ اللَّهُ عليَهِ فاندَلعَ لسَانهُ فوقعَ على صَدرِهِ، فقالَ لهُم: قدْ ذهبَتِ الآنَ منِّي الدنيَا والآخرَةُ، ولم يبقَ غير المكر والحيلة، فسأمكرُ لكم وأحتال جمِّلوا النساء وزيِّنوهنَّ وأعطوهنَّ السلع، ثمَّ أرسلوهنَّ إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهنَّ فلا تمنع امرأة نفسَها من رجلٍ أرادَها، فإنَّهم إن زنا منهم رجلٌ واحد كُفِيتموهم. ففعلوا ذلك، فلمَّا دخلت النساء على العسكر مرَّت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبي بنتُ صور برجلٍ من عظماء بني إسرائيل اسمه زَمري بن شلوم رأسُ سبط شمعون بن يعقوب، فقامَ إليها وأخذ بيدها حين أعجبته ثمَّ

أقبل بها حتى وقف بها عند موسى -عليه السلام-، فقال: يا موسى أظنُّ أنَّك ستقول هذه حرام عليك؟، قال أجل، هي حرامٌ عليك فلا تقربها. فقال زمري: فوالله لا أطيعُك في هذا. فدخل بها خيمتَه ووقعَ عليه، فأرسل الله الطاعونَ على بني إسرَائيل/

انتهت القصة فانظر رعاك هذا مجرد كتم الحق ودعا على موسى كفر بالله ونسلخ من آياته فكيف من يوالي الطاغوت باللسان والسنان ويقاتل في جانبه ويصف من يدافع عن دين الله وحرماته إنه إرهابي وخارجي مارق ويحل دمه ودم عرضهُ لا ريب إنه اعظم كفراً من بلعام بن باعوراء

(الصنف الحادي عشر من يقول لا إله إلا الله وهو ينتسب للعلمانية)

الصنف الحادي عشر من يقول لا إله إلا الله وهو ينتسب للأحزاب العلمانية شيوعية وبعثية وغير ذلك فهذا الصنف كفار لا ينفعهم قولهم بلا إله إلا الله لأنهم انتسبوا لغير ملة الإسلام وهذه الأحزاب دين غير دين الإسلام زد على ذلك إنهم ينحون شريعة الله عن مجال الدولة فلا ينفعهم صلاة ولا صيام ولا حج ولا النطق بلا إله إلا الله

قال تعالى أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(البقرة 85)

وقال تعالى وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

(آل عمران 85) والعلمانيين ابتغوا غير الإسلام ديناً لا ريب فكانوا كافرين

فصل

من خالف توحيد الربوبية من العالمين

لقد اهتم أكثر المتأخرين من المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم في تقرير توحيد الربوبية وجعلهُ هو الغاية من بعثة الرسل وضجة كتبهم وأقلامهم بهذا التوحيد الذين هم ينكرون كثيراً من أركانه ولوازمه من تعطيل الأسماء والصفات ولذلك ما من بلد فيه أشاعرة إلا وجدتُ الشرك يعانق كبد السماء بل هم من نشرك الشرك في الأمة لأنهم صوفية أشعرية فالذي يأتي بتوحيد الربوبية ولم يأتي بتوحيد الألوهية أو الأسماء والصفات أو الحاكمية فهو كافر سواءً عن جهل أو علم فالذي لا يثبت لله الألوهية أو أشرك بالله فهو كافر

والذي يعطل الأسماء والصفات عن الله فهو كافر وكذلك من لا يفرد الله في الحاكمية ويتحاكم لطواغيت الحكم والمحاكم الوضعية فهو كافر بالله العظيم

فإن الغاية التي خلقنا الله لها هو توحيده بأفعاله وأفعالنا وأفعاله هي مثل الخلق والرزق والملك والاحياء والاماتة والحكم أي افعل ولا تفعل

وافعالنا هي عبادته سبحانه على لسان رسوله مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والتحاكم إلى كتابه وسنة رسوله صلى اللهُ عليه وسلم لأن الله تعبدنا بأنه هو الخالق الرازق المالك وتبعدنا بأنه هو الإله الحق ودونه باطل و تعبدنا بأنه هو صاحب الأسماء والصفات الحسنى و تعبدنا أن نتحاكم إليه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

قال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه على المتكلمين الذين جعلوا توحيد الربوبية هو الغاية من بعثة الرسل

أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير إثبات المحبة والبغض والرضى والسخط الذين يقولون: " التوحيد " هو توحيد الربوبية. و " الإلهية " عندهم هي القدرة على الاختراع ولا ؤيعرفون توحيد الإلهية ولا يعلمون أن الإله هو المألوه المعبود وأن مجرد الإقرار بأن الله رب كل شيء لا يكون توحيدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله كما قال تعالى:

{وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}

. قال عكرمة: تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره وهؤلاء يدعون التحقيق والفناء في التوحيد ويقولون إن هذا نهاية المعرفة وإن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة. وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام الذين قال الله عنهم: {قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون} انتهى المراد من كلامه والمقصود إن توحيد الربوبية وحده غير كافي في دخول المرء في الإسلام

فصل

في ذكر من خالف في توحيد الربوبية والشرك بالله في توحيد الربوبية

وكما مر معنا في غير موضع أنه لم يخالف في توحيد الربوبية إلا شرذمة قليلة من شذاذ بني آدم وها نحن ذاكروهم وذاكروا مذهبهم

الفرقة الأولى الذين أشركوا في توحيد الربوبية

وهم المجوس

اعلم أن أول فرقة أشركت في توحيد الربوبية وجعلت للكون ربينِ هم المجوس أصحاب المقدم الأول كيومرث أثبتوا أصلين: يزدان وأهرمن.

وقالوا: يزدان أزلي قديم، واهرمن محدث مخلوق. ويقصدون بيزدان الله سبحانه وتعالى وبأرهمن إبليس

وقالوا: إن سبب خلق أهرمن أن يزدان فكَّر في نفسه أنه لو كان لي منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور، فحدث الظلام من هذه الفكرة، وسمِّي أهرمن، وكان مطبوعا على الشر والفتنة والفساد والفسق والضرر والإضرار، فخرج على النور، وخالفه طبيعة وفعلا، وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة.

ثم إن الملائكة توسَّطوا فصالحوا على أن يكون العالم السفلي خالصا لأهرمن سبعة آلاف سنة، ثم يخلي العالم، ويسلمه إلى النور، والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم، ثم بدأ برجل يقال له: كيومرث. وحيوان يقال له: ثور. فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس، وخرج من أصل ريباس رجل

يسمى ميشة، وامرأة تسمى ميشانة، وهما أبو البشر، ونبت من مسقط الثور الأنعام وسائر الحيوانات.

وزعموا أن النور خيَّر الناس- وهم أرواح بلا أجساد- بين أن يرفعهم عن مواضع أهرمن، وبين أن يلبسهم الأجساد فيحاربون أهرمن، فاختاروا لبس الأجساد ومحاربة أهرمن، على أن تكون لهم النصرة من عند النور والظفر بجنود أهرمن وحسن العاقبة وعند الظفر به وإهلاك جنوده تكون القيامة.

فذاك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص . قلت وهذا كله كفر مالهُ مثيل وسخافة تعالى الله عن قولهم والمجوس أبت أن يحدث النور يزدان الشر فكيف خلق أهرمن وهو أصل الشر وبهذا بطل مذهبهم السخيف لأنهم منعون إن الله يحدث شراً

الفرقة الثانية التي أنكرت توحيد الربوبية جملةً وتفصيلا وهم الدهرية

الفرقة الثانية الذين أنكروا توحيد الربوبية وإنه لا خالق للدنيا وهم الدهرية الذين يقولون بقدم العالم وإنكار الخالق وإن الدنيا لا نهاية لها وما هي الدنيا إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ولقد ذكرهم الله في كتابه فقال تعالى ذكره عن فرعون (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) وقال تعالى مخبراً عنه ما قال لهامان:

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِـعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا) وقال عن جملة قولهم ومذهبهم وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ الجاثية (٢٤)

فنسبوا موتهم وحياتهم للطبيعة والدهر أشارة أنه لا خالق يبعث ويخلق

والذين أنكروا توحيد الربوبية أصناف وهم كما يلي

١العرب الدهرية الذين يقولون مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ

الآية

٢ دهرية العجم

٣الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم والمادة

٤أصحاب وحدة الوجود ابن عربي وطائفتهُ

الذين يقولون أنه لا خالق ولا مخلوق وما الكون إلا عين واحدة وهذا تعطيل للربوبية

٥الشيوعية في زماننا بكل أصنافها الذين يقولون لا يوجد خالق البتة

٦ الطبائعيين الذين ينكرون وجود الخالق ويقولون خلقنا صدفة من الطبيعة

٧ السفسطائية وهم الذين ينكرون العلوم والبديهيات ومن مذهبهم إن كل شيء ليس له حقيقة لا رب ولا كون ولا أي شيء له حقيقة في الوجود

واعلم إن هذه الطوائف هي شرذمة قليلة من بني آدم ولقد انعقد إجماع بني آدم على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى والإيمان بربوبيته وانعقد إجماعهم على إنكار توحيد الألوهية والشرك بالله في العبادة

ولذلك قال تعالى

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}

[المؤمنون:٨٤-٨٩]

وقال تعالى: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون. الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون }[العنكبوت٦١-٦٣]

وقال تعالى:

{ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون} [لقمان:٢٥]

فصل

الرد على منكري الخالق وتوحيد الربوبية

حوار مع من أنكر وجود الله

فنقول لمن وأنكر وجود الله و توحيد الربوبية

من خلقك فإن قال الطبيعة فنقول له من خلق الطبيعة فإن قال لم يخلقها أحد قلنا كيف لم يخلقها أحد أهي ربك وأنت تنكر وجود الرب فإن قال لم تخلقني

الطبيعة وجدت صدفة فنقول له هل الطبيعة وجدت صدفة فإن قال نعم نقول له نحن أمامك الآن وجدنا صدفة في هذه الدقائق فإن أنكر بطل مذهبهُ وهذا لازم له في مذهبهُ فإن أقر نقول له من أوجد الصدفة هل جاءت صدفة فأوجدت الصدفة فإن قال نعم جاءت صدفة فأوجدت صدفة فنقول له من أوجد الصدفة الأولى التي تحدث منها الصدف فلابد أن يقول لا أدري فينقطع عن المناظرة ونقول له بعدها نحن لم نرى من شيء في من الملابس والصناعات والآلات إلا وجدنا أنه وجد صدفة فلابد أن ينكر فنقول له علام تنكر أن هذه الصناعات من الطائرات والاجهزة والملابس وجدت صدفة فلابد أن يقول أنا أعلم أن لها صانع فنقول له إذا كذبناك هل نحن على صواب فلا بد أن يقول نعم فنقول له علام تكذبنا بأن للكون العظيم هذا رب خالق فإن الذي يعلم حجة على من يعلم فنحن نعلم أن للكون خالق وأنت تعلم أن للصناعات هذه صانع و إذا كنت لا تعلم أن للكون خالق فهذا ليس من اللازم أنه لا يوجد خالق فإن قال أنا لم أراهُ قلنا لهُ هذا ليس بحجة لك بل عليك فنقول له هل تؤمن بوجود الروح وأن لك روح في جسدك فلابد أن يقول نعم فنقول له ما هو شكلها وماهيتها فلابد أن يقول أن الروح لا ترى ولا يعلم ماهيتها فنقول له إذا كانت روحك المخلوقة الضعيفة لا تراها في عينك فكيف بذات الله العظيمة

التي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فلابد أن ينقطع وإلا يجحد ضلما وعلوا وهو مقر في نفسه نحن على حق فهذا لا تنفع معه المناظرة أبدا إلا مناظرة السيف والنعال على وجههُ اجلكم الله

هذا والله اعلم والحمد لله رب العالمين

كتبه أبو اليمان الحنبلي البغدادي